تجربة تعليم القراءة بفلسفة وطريقة مونتيسوري لذوي الإعاقة العقلية

نداء سمير رحمن

مقدمة:

تعد القراءة الوسيلة الأولى لتعليم المعارف والمعلومات، فهي حلقة الوصل بين الفرد وعالمه المحيط، فمن خلالها تتفتح آفاق الإنسان، وتتسع مداركه، كما أنها المفتاح الرئيسي للنمو الثقافي والاجتماعي، وتهتم كل المجتمعات الإنسانية، في شتى أنحاء العالم بتعليم هذه المارة منذ الطفولة المبكرة لمواطنيها، ولذلك تركز دور التربية والحضانات لتنمية هذه المهارة منذ الأعوام الأولى للطفل، وتعمل على تعزيز مهارة القراءة من خلال أنشطة مناسبة وملائمة للسن الطفولة، ويغلب على هذه الأنشطة طابع التفاعل، والتعلم عن طريق اللعب.

لا شك أن تعلم مهارة القراءة ليس بالأمر البسيط، خصوصا إذا ما كان ذلك في اللغة العربية، فكلماتها المتنوعة، وتعدد معانيها، أضفى هذه الصعوبة في تعلمها، وهذا ما منح القرآن الكريم ميزة الإعجاز، ولذلك يحتاج تعلم مهارة القراءة أسلوب سهل، وشيق، وجاذب للطفل المتعلم، وهذه المهمة تقع على كاهل المعلم والمربي، الذي يدرس مادة اللغة العربية، وانطلاقا من الأسس التربوية في عالم تربية الطفل، والتي تنص على ضرورة إشراك الطفل في عملية تعلمه، بل وبعض النظريات تعتقد أن التعلم الحقيقي، يكون ذاتي بالدرجة الأولى أي أن التعلم الذي يبقى أثره مدى طويلة، يكون المتعلم هو المعلم لنفسه.

لكن كيف يتم ذلك مع الطفل المعاق عقليا؟، هل يستطيع أن يتعلم مهارة القراءة؟، وهل يمكن أن يكون تعلمه ذو طابع ذاتي؟، هذه الأسئلة ستتضح للقارئ بعد قراءة التجربة التي سأرويها خلال الأسطر القادمة.

يشكل تعليم الطلبة ذوي الإعاقة العقلية تحديا كبيرا، وخصوصا المهارات المتعلقة ببناء الجانب اللغوي لدى الطفل المعاق، وذلك نظرا للخصائص العقلية التي يتصف بها هؤلاء الأطفال، فقدراتهم الاستيعابية ضئيلة، وقدرتهم على التحليل والتركيب واستخدام مهارات التفكير العليا وكذلك المتوسطة، تعد مهمة صعبة بالنسبة لهم، لكن ما نؤمن به كتربويين ومتخصصين في مجال التربية الخاصة، أن تعليم أي طفل مهما اختلفت قدراته العقلية، مرتبطة بشكل وثيق بالأسلوب المتبع في تعليمه، وأن عملية تدريبهم على مهارات تحتاج استخدام هذه المهارات هي ليس بالمعجزة البعيدة التحقيق، فما قام به العلماء أمثال جان ايتارد، وإدوارد سيجون، في مجال تربية الأطفال المعاقين عقليا، كان مرشدا وملهما للدكتورة ماريا مونتيسوري، والتي منها ا نبعت أفكارها وإيمانها بإمكانية تعليم الأطفال المعاقين عقليا، فكانت مدرستها "أورتوفرينكا" التي قامت بإنشائها، خير دليل على واقعية هذه الأفكار والتي تحولت فيما بعد إلى نظريات راسخة حتى عصرنا هذا، فكانت مدرسة متخصصة للأطفال المعاقين عقليا، تقدم لهم خدمات تعليمية وتربوية، متميزة، وذات أهداف محققة، وخير دليل على نجاح هذه الأهداف وتحققه، مقولتها الشهيرة التي فتحت آفاق، وفتحت أنظار العلماء إلى البحث وإعادة النظر في الأساليب التعليمة المتعبة مع الأطفال العاديين، والتي في معظمها باءت في الفشل، فقالت ماريا: " بينما كان الناس في منتهى الإعجاب بنجاح تلاميذي ذوي الإعاقة العقلية، كنت في منتهى الدهشة والعجب لبقاء الأطفال الأسوياء في ذلك المستوى الضعيف من التعليم".

تعتبر مهارة القراءة من أعقد المهارات تعلما، نظرا لتعدد الحواس المشتركة لإتمام هذه العملية، وأيضا بسبب سرعة العمليات العصبية وتعقد التآزر الحسي البصري، في نقل الرموز وتحويلها إلى مفاهيم ومعاني مدركة، والطفل المعاق عقليا، يتسم بضعف عام في هذه الخصائص، نظرا لخصائصه العقلية البطيئة، وضعف عملية التآزر الحسي البصري لديهم، ولكن ما توصل له علماء التربية

منذ القدم، أن الطفل المعاق عقليا يستطيع التعلم، عن طريق تدريبه، وتكرار الأنشطة، وهذا ما أثبته العديد من العلماء أمثال فروبل ومونتيسوري.

ويدور الحديث في هذه الورقة العلمية عن تجربة الباحثة الشخصية، في تعليم القراءة للأطفال صعوبات التعلم، وأيضا الأطفال المعاقين عقليا، بطريقة وفلسفة مونتيسوري، وما أود إضافته في هذا السياق، بعض المعلومات حول مونتيسوري، وأعتقد أن المحتوى العربي فقير جدا بهذا الموضوع، وما أطمح له في هذه الورقة، إثراء المحتوى العربي حول فلسفة وطريقة مونتيسوري في تعليم اللغة العربية، خصوصا في مجال التربية الخاصة.

ماذا يعني التعليم بطريقة مونتيسوري؟

هي طريقة تعليمية، تعتمد على تقديم الخبرات الملموسة والمحسوسة للطفل، بحيث يستطيع التفاعل معها بأكبر قدر ممكن من خلال حواسه، ثم ينتقل تدريجيا إلى مراحل أكثر تدرجا، حسب قدراته وخصائصه العقلية، إلى أن يصل إلى الفهم المنشود والاستيعاب العميق، الذي يشكل تعلم ذو معنى وحقيقي للطفل، ويكون النظام التحفيزي داخلي بالدرجة الأولى، إلى أن تصبح هذه المدركات عبارة عن قيم ومعارف مترسخة في نفس الطفل، بطريقة جذابة وسلسة.

مبادئ ومرتكزات التعليم بطريقة مونتيسوري:

- إعطاء الطفل الحرية الكاملة في اختيار الأنشطة التي يرغب، وعدم إجباره مطلقا.
- احترام الخصائص النفسية والعاطفية لدي الطفل.
- يكرر الطفل النشاط أو التمرين حتى يتقن ويحقق الهدف.
- التعامل باحترام مع الطفل، بحيث تستخدم كلمات مناسبة مثل، "من فضلك"، "شكرا".
- كل طفل يتعلم وفقا لقدراته العقلية، واحتياجاته وميوله، لذلك يجب مراعاة الطفل في ذلك، وترك الأمر لمسألة النضوج.
- المعلم موجه، لا ينبغي له التدخل المباشر في عملية التعلم، فهو مراقب لنشاط، مصحح بطريقة غير مباشرة.

قوانين مونتيسوري في تعليم الأطفال ذوي الإعاقة:

- القانون الأول: تقديم أنشطة تعليمية مناسبة لقدرات الأطفال المعاقين، على أن تكون أدنى من المستوى المفترض لدى الطلبة العاديين.
- القانون الثاني: اختيار الأوقات التي يكون استعداد الطفل المعاق مناسب للتعلم، وذلك حسب قدرته وميوله، وكذلك حسب حالته النفسية.
- القانون الثالث: إعطاء القدر الكافي من الحرية.

تجربتي في سطور:

في هذه الورقة، أتحدث عن تجربة خاصة بي، تجربتي في استخدام أسلوب ونهج مونتيسوري في التدريس، فبادئ الأمر قمت بتطبيق هذه النظرية على الطلبة من ذوي صعوبات التعلم، وهم أحدى الطلبة الملتحقين ببرنامج التعليم المساند ففي إحدى المدارس الحكومية، فكان التحدي الأكبر، هو إقناع التربويين والمسؤولين بجدارة هذه الفلسفة العميقة في التدريس، ولذلك، تطلب الأمر موافقة وزارة التربية والتعليم للعمل بهذه النظرية، وفعلا لقد تمت الموافقة، تشجيعا لي لتطبيق هذه الفكرة والتي ارتسمت لدي كشغف أتبناها في نهجي وأسلوبي التدريسي، وأيضا احتراما لفكرة تطوعي ومبادرتي لتطبيق هذه الفكرة رغم إني لست موظفة في السلك التعليمي، وأيضا على الرغم من ندرة هذه النظرية في أساليبنا التعليمية الموجودة في فلسطين، ويمكنني الجزم انعدامها كليا في المدارس الحكومية.

ومن التسهيلات الربانية التي رافقت رحلة بحثي وتطبيق هذه النظرية، تسخير مديرة نشيطة وداعمة لي، ذات فكر تجددي، جريء ومؤمن بأن الطالب أغلى ما نملك، وأن الطلبة ذوي صعوبات التعلم هم من الطلبة الذي يستحقون الاهتمام، لأنهم سيصبحون يوما ما، عنصر فعّال في المجتمع، فبدأنا معا وسويا بالبحث عن داعم وراعي للتطبيق الفكرة، لكن لا أنكر أن التحديات كان كبيرة، والدعم قليل، لذلك قمت بصنع الأدوات بنفسي، وبأدوات بدائية، لكنها محاكية للأدوات الأصلية، وكان مكان الجلسات في مرافق المدرسة، مثل المكتبة، وفي بعض الأحيان كنا نستخدم مخزن الكتب لإعطاء الجلسات، فأذكر احد المواقف الطريفة، كان لدي موعد لتقديم حصة نموذجية لمجموعة من المعلمين والمشرفين التربويين حول طريقة مونتيسوري، وكان الجو آنذاك ماطر، فتسللت الأمطار من داخل السطح، وللأسف اختارت أدوات ووسائل العمل لإتلافها، لكن تم إنقاذ الموقف وقتها، وتقديم الحصة بشكل رائع، فخلال ذلك العام، استقطبت الفكرة التربويين والمشرفين، واستطعت إقناعهم بجدارة مونتيسوري، وفائدتها مع الطلبة من ذوي صعوبات التعلم.

وفي العام التالي، تبلورت الفكرة إلى حقيقة، واستطعنا إنشاء غرفة خاصة للتدريس بطريقة مونتيسوري، وتم تهيأت كل المستلزمات، من سجاد وأدوات ووسائل، فما لم نستطيع محاكتها وصنعه هنا في فلسطين، قمنا باستيرادها من الولايات المتحدة، وطبعا كان الدعم من أحد المتبرعين من المجتمع المحلي، وخلال الفصل الأول من العام الثاني للفكرة مونتيسوري، التي كانت حلم، أصبحت واقع، بل واستطعت الفكرة استهواء أولياء الأمور، ومطالبتهم الدائمة لنا للمواصلة بتدريس بناتهم بهذه الطريقة، أما الطالبات، فلا أستطيع وصف الإقبال الشديد والرغبة للدخول والانضمام لهذا الصف، فحتى الطالبات المتفوقات وذات المستوى العالي، كن يتلهفن لزيارة الصف، الأمر الذي دفعني لعمل برنامج خاص بالطالبات المتفوقات، فكان البرنامج إثرائي بالدرجة الأولى، وترفيهي بالنسبة لهن بالدرجة الثانية.

أما النقلة النوعية التي حدثت في نفس العام، هي تطوير وسائل خاصة باللغة العربية، فقمنا بتصميم حروف خشبية على نفس نمط فكرة تدريس اللغة باللغة الإنجليزية، واستطعنا إنتاجها بجودة عالية جدا، وتصميم دروس وجلسات تعليمية، والاستفادة من هذه الحروف لتطبيق تلك الدروس، ومن خلال الملاحظة والقياس، استطعنا استقباس الأثر الرائع التي تركته هذه الوسيلة، والأسلوب لدى الطالبات.

نجاح تجربة المونتيسوري في المدرسة الحكومية التي تطوعت في برنامجها المساند، كان ملهما لي لتطبيق هذه الفلسفة في مدارس ومراكز التربية الخاصة، خصوصا وأن ماريا مونتيسوري، أول ما بدأت العمل معهم بهذه الفلسفة، هم الأطفال ذوي الإعاقة العقلية، فأحببت استكشاف الأمر مع الطلبة العرب، وهل هذه الطريقة مناسبة لنا كمجتمع عربي، والإجابة عن هذه التساؤلات، بحثت عن مراكز خاصة للاهتمام بالمعاقين عقليا، فوقع اختياري على مركز جبل النجمة لرعاية ذوي الإعاقة، واخترت الطلبة من ذوي الإعاقة العقلية للعمل معهم، فقمت بالتنسيق مع المسؤولين والإداريين آنذاك، فاستقبلوا الفكرة بكل ترحيب، وأوضحوا لي أن فكرة تطبيق فلسفة مونتيسوري في عملهم، مدرجة في خطط التطوير والعمل لديهم، لكن قلة وجود متخصصين في تدريس وتدريب مونتيسوري، كان العائق الوحيد، وبذلك كانت فرصة رائعة لي ولهم، وأول عمل قمنا به سويا، عقد ورشة عمل للعاملين هناك في المركز، لتعريفهم بطريقة مونتيسوري، وتدريبهم على التدريس والتربية بطريقة مونتيسوري، فوجدت إقبالا شديد، ورغبة من قبل المعلمين والمعلمات، وكانت استجابتهم وتفاعلهم أكثر من رائع.

بعد ذلك، تفرغت لتصميم دروس وخطط، لتطبيقها مع الطلبة ذوي الإعاقة العقلية، وذلك بالتنسيق مع إحدى المعلمات التي كانت ترعى صف من صفوف المركز، فقبل كل شيء يلزمنا تطبيق مقياس لقياس مستوى الأداء الحالي للطلبة، وكذلك كتابة الخطط التربوية الفردية لكل طالب مشارك في هذه الدراسة، كما تم جدولت خطة زمنية لإعطاء هذه الدروس، وأيضا نمذجتها في إطار تربوي مصاغ حسب طريقة مونتيسوري في تعليم اللغة.

الخطة المقترحة:

تسعى هذه التجربة إلى تنمية مهارة القراءة لدى الطلبة المعوقين عقليا في مركز جبل النجمة، لذلك تم إخضاع العينة المشاركة لفحص يقيس مدى امتلاك هؤلاء الطلبة لبعض الكلمات، والجمل، وكذلك لبعض القواعد البسيطة في القراءة، وأيضا ملاحظة سلوكهم، ومدى تقبلهم واستجابتهم مع الطرق التقليدية في تعليم مهارة القراءة، ومقارنة هذه الخصائص عند التدريس بطريقة مونتيسوري، فتم بناء وتصميم دروس، على أن تحتوي كل جلسة خمس كلمات من الكلمات التي تبين أن الطلاب يفتقدونها في محصلتهم اللغوية، ويتم تعليم هذه الكلمات عن طريق استخدام الحروف الخشبية، البطاقات المصورة، وكذلك المجسمات المحسوسة لبعض الأشياء المراد تعلميها، وكذلك القصص المصورة، والفيديوهات التعليمية، بطاقات حروف الصنفرة، الشبك، الرمل الملون، صابون الحلاق، الزيارات والرحلات الميدانية، حيث جميع الطرائق والوسائل المذكرة أعلاه تقدم بطريقة وفلسفة مونتيسوري، التي تعتمد كل الاعتماد على اكتشاف الطفل نفسه للمعلومة، ونظرا لشروط النشر المطلوبة في هذه المجلة، تم اختصار الشرح عن هذه الوسائل والاكتفاء بتناول وسيلة واحدة، على أن

يتم تناول كل الدروس والتصميمات مستقبلا، أو من خلال التواصل مع الباحثة.

الحروف الخشبية:

تتكون هذه الوسيلة من ٢٨ حرف، وكل حرف يأتي بأشكاله جميعها التي يأتي بها اثناء الكتابة، تم صناعة هذه الحروف من الخشب، وقصه باستخدام طريقة الليزر، الأمر الذي أكسبها جودة عالية، وملمس جيد وأمان للطفل.

تقدم هذه الحروف داخل صندوق خشبي، بحيث يتم استخدامه للتمثيل كلمة، من خلال عرض بطاقة مصورة للكلمة المراد تعلمها، حيث يوائم الطفل الكلمة المصورة على البطاقة، مع الحروف الخشبية، ويقوم بتركيب هذه الكلمة من خلال الأحرف الموجودة داخل هذا الصندوق.

طريقة التقديم:

الطريقة المقترحة: في المراحل المبكرة من تعلم الطفل لمهارة القراءة، يحتاج إلى التعرف على الحروف، وذلك بتعليم الصوت للحرف، كأولوية في طريقة مونتيسوري، حيث نركز على أصوات الحروف، ونحاول مساعدة الطفل أن يربط بين الصوت والشكل للحرف المتعلم، فنستطيع تعليم حرف الجيم مثلا، عن طريق جلب كيس قماشي، مجسمات لأشياء تبدأ بحرف الجيم، بطاقات مصورة، وأشكال حرف الجيم الخشبية، ثم نضعها في الكيس القماشي، ونطلب من الطفل أن يحضر لجلسته، وذلك بإحضار السجادة الخاص به، ثم نطلب بعد ذلك أن يفرشها، ويجلب الوسيلة المستخدمة في الجلسة من الرف، ثم نستخرج الحرف الخشبي ونصدر الصوت الساكن له، ونطلب من الطفل إعادة نطقه من خلفنا.

الاقتراحات والتوصيات:

- ينصح باستخدام هذه الطريقة لتعليم الطلبة ذوي الإعاقات المختلفة، بما فيها السمعية، العقلية، في المراكز المتخصصة، لما لها من فاعلية كبيرة في جذب انتباه الطلبة، وكذلك زيادة دافعيتهم نحو عملية التعلم بشكل ملحوظ.
- ينصح بتنفيذ بعض الأنشطة المتعلقة بطريقة وفلسفة مونتيسوري في البيت، من قبل الأم والأب، فمن الممكن أن توصي المعلمة بها الوالدين، بعد تعريفهم بالطريقة والإجراءات.
- ينصح استخدام هذه الطريقة مع طلبة صعوبات التعلم في القراءة، في غرف المصادر، والصفوف المدمجة، في المدارس.

المراجع العربية:

الروسان، فاروق. (٢٠١٣)، سيكولوجية الأطفال غير العاديين، دار الفكر، عمان.

العتيبي، بندر. (٢٠٠٣). الاجراءات التعليمية المستخدمة في تدريس ذوي الإعاقات المتوسطة والشديدة. مركز بحوث كلية التربية. جامعة الملك سعود، الرياض.

العزة، سعيد. (٢٠٠١). الإعاقة العقلية. مكتبة دار الثقافة، عمان.

لينش، اليانور؛ هيبل، كارين؛ سيميز؛ وشات، جوسا. (١٩٩٩). التخلف العقلي: دمج الأطفال المتخلفين عقليا في مرحلة ما قبل المدرسة (برامج وأنشطة). (ترجمة سمية جميل، وهالة الجرواني). إسكندرية: مكتبة النهضة المصرية.

المراجع الإنجليزية

Montessori.M.(١٩٨٨). Dr. Montessoris Own Handbook. Schocken Book، New York، USA.

Montessori.M.(١٩٨٨). The Montessori Method. Schocken Book، New York، USA.

Montessori Research and Development. (٢٠١٣).Language Arts Manual Vol. ١، Early Childhood Teacher Manual. USA.